٥ – الانسحاب العام من سيناء

على ضوء تطورات الموقف يوم ٦ يونيو ، طلب الفريق أول مرتجى تصديق المشير عامر على انتقال « مركز القيادة المتقدم » إلى موقع آخر فى منطقة سيناء غرب مضيق الجدى . وافق المشير عامر على ذلك ، وتم إخطار قيادة الجيش الميدانى بهذا الانتقال والوقت الذى يتم فيه .

تحركنا ليلة ٦ / ٧ يونيو للانتقال إلى الموقع الجديد ، ولاحظنا بقلق شديد تدفق المركبات والأسلحة والمعدات إلى الغرب فى اتجاه قناة السويس ، حيث لم يكن تبلغ لنا قرار القيادة العامة بالانسحاب العام من سيناء ، وهو القرار الذى صدر إلى الفريق صلاح محسن قائد الجيش الميدانى .

عندما وصلنا إلى الموقع الجديد لمركز القيادة المتقدم حوالى الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٦ / ٧ ، حضر لنا مدير الشرطة العسكرية حوالى الساعة الثالثة من صباح يوم ٧ ، وأخطرنا أن هناك قراراً صدر بالانسحاب العام من سيناء ويجرى تنفيذه فعلاً . وكانت دهشتنا كبيرة عندما أخطرنا أيضاً أن قيادة الجيش الميدانى قد انسحبت من سيناء ، وأن الفريق صلاح محسن موجود فى غرب القناة ، وأن المعابر قد أقيمت على القناة حيث تنسحب عليها القوات للغرب .

أسرع الفريق أول مرتجى ومعه اللواء أحمد إسماعيل فى اتجاه القناة لاستطلاع حقيقة الأمر .

« عندما وصلا[1] إلى غرب القناة جنوب البحيرات ، وجدا قائد الجيش الميدانى يتحدث تليفونيا مع رئيس أركان حرب القوات المسلحة الذى كان يعطيه تعليمات عن إيواء القوات عند عودتها من سيناء » .

ويقول الفريق أول مرتجى إنه « سأل الفريق صلاح محسن لماذا لم يستأذن منه لنقل مركز قيادته كما تقضى بذلك التعليمات ؟ ولماذا لم يخطر مركز القيادة المتقدم بأوامر الانسحاب ؟ وكانت إجابته غير مقنعة بالنسبة للاستفسارين ، خصوصاً وأنه أرجع ذلك إلى قطع الاتصال الخطى مع المركز » .

انتظرت فى مركز القيادة المتقدم أشاهد القوات وهى تتدفق نحو الغرب فى سيل جارف دون أى تنظيم . أهكذا يكون الارتداد ، وهو شكل من أشكال المعركة التى تتطلب منتهى الدقة فى التنظيم والحزم فى التنفيذ مع القتال فى نفس الوقت ؟ ولماذا كان إرسال هذه القوات إلى سيناء لتنسحب منها بعد يومى قتال بهذا الارتجال والأسلوب السيىء فى التنفيذ .

وكان السؤال الذى يراودنى هو : أين قائد وقيادة الجيش التى تقود هذه القوات ؟ وكيف يتم تنظيم الارتداد والسيطرة على القوات ؟ وعلمت فيما بعد أنه فى مساء يوم ٦ يونيو انتقل الفريق صلاح محسن وقيادته — بتصديق من المشير عامر — إلى غرب القناة فوصلها ليلة ٦ / ٧ يونيو . وبذلك فقدت هذه القيادة سيطرتها على قواتها أثناء الارتداد فى أحرج الأوقات . وكان من الواجب الحتمى — وهو الطبيعى — أن يظل قائد الجيش وقيادته بين القوات فى سيناء لتنظيم أعمال القتال والارتداد المنظم للقوات على الخطوط المتتالية . ولا يمكن أن يتخلى القائد فى الميدان عن هذه المسئولية أبداً .

وأصبح الوضع معكوساً أن يتواجد قائد الجيش وقيادته فى الاسماعيلية ، بينما يتواجد مركز القيادة المتقدم فى منطقة مضيق الجدى بسيناء ، وبينما القوات ما زالت ترتد من سيناء . وأعود للقول مرة أخرى إن عدم وجود قائد الجيش فى سيناء ومعه مجموعة عمليات من عدد محدود من الضباط للسيطرة على الموقف — وهو أضعف إجراء — لا يمكن تفسيره أو إيجاد مبرر له .

انتظرت صباح يوم ٧ فى مركز القيادة المتقدم ، لأشاهد القوات المنسحبة على طريق

(١) فريق أول مرتجى — الفريق مرتجى يروى الحقائق — ص ١٦٤ .

مضيق الجدى – وكذا طريق مضيق متلا – بشكل يدعو للأسى تحت ضغط الهجمات الجوية المعادية المستمرة ، فحولتها – وبصفة أساسية مضيق متلا – إلى مقبرة تتناثر فيها الجثث ، وتشتعل فيها المعدات ، وتنفجر فيها الذخائر . ثم وصلتنى رسالة للعودة « بمركز القيادة المتقدم » إلى الاسماعيلية .

وجدت الحزن يخيم على الجميع ، بعد أن انسحبت نسبة كبيرة من القوات من سيناء ، والجزء الباقى فى طريقه إلى غرب القناة . أما عن قواتنا فى شرم الشيخ ، فقد علمت حينئذ أنها انسحبت ودخلت القوات الإسرائيلية شرم الشيخ دون قتال .

وتلك كانت النهاية الأليمة يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ .

إنسحاب أم انتحار ؟

عندما أصدر المشير عامر بعد ظهر يوم ٦ يونيو قراره بالانسحاب العام من سيناء إلى غرب القناة بحيث يتم ذلك فى اليوم التالى ، عرضت عليه هيئة عمليات القوات المسلحة أن يتم الانسحاب خلال ثلاث ليال (أربعة أيام) ، لتجنب القصف الجوى المعادى وحتى يكون الانسحاب منظماً ، إلا أنه لم يوافق.ويبدو أنه كان عالقاً فى ذهن المشير عامر القرار الذى اتخذه الرئيس عبد الناصر عام ١٩٥٦ بالانسحاب من سيناء عندما اكتشف أبعاد العدوان الثلاثى على مصر ، وأن المجهود الرئيسى لمصر يجب أن يوجه ضد إنجلترا وفرنسا فى منطقة القناة وليس ضد إسرائيل فى سيناء التى كانت مخلب قط فى هذا العدوان . وغاب عن المشير عامر أن الموقف عام ١٩٦٧ يختلف تمام الاختلاف عن الموقف عام ١٩٥٦ .

ومن الناحية العملية غاب عنه أيضاً أن حجم القوات فى سيناء عام ١٩٦٧ كان ضخماً ، وأن الطرق محدودة ولا تتحمل – عمليا – تحرك القوات بهذا الحجم الكبير لتنفيذ الانسحاب حتى اليوم التالى . بالاضافة لذلك فإن الانسحاب – دون تنظيم – يترتب عليه أن تصبح القوات هدفاً سهلاً لطائرات العدو التى خلا لها الجو تماماً مما يكبد القوات البرية خسائر كبيرة فضلاً عن تعرضها لضغط العدو البرى .

وفى العلم العسكرى ، يعتبر الانسحاب شكلاً من أشكال المعركة ، قد تلجأ إليه القوات فى الميدان تحت ضغط العدو وتفوقه لتهيئة الظروف المناسبة للدفاع على

خطوط أفضل ، أو لتطويل خطوط مواصلاته وإنهاكه إلى أن تتاح الفرصة للدفاع الأقوى ومعاودة الهجوم . وفى جميع الحالات يشترط أن يكون الانسحاب منظما طبقاً لتوقيتات محددة ، وأن يكون القتال مستمراً بكل أو جزء من القوات المرتدة ، وأن تكون السيطرة على القوات حازمة ، حتى لا يتحول الانسحاب إلى هزيمة .

ولعل أقرب الأمثلة لنا – وقد عاصرناه ويتم دراسته فى التاريخ العسكرى – هو ما تم فى شمال أفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية ، عندما انسحب الجيش الثامن البريطانى بعد معركة الغزالة – فى حالة فوضى – إلى العلمين فى يوليو ١٩٤٢ تحت ضغط قوات روميل المتفوقة . ولكن القيادة البريطانية فرضت سيطرتها على القوات المنهكة المشتتة وجعلتها تَثبُت وتدافع عند مضيق العلمين ، إلى أن تهيأت لها الظروف المناسبة للهجوم مرة أخرى وانتصرت فى « معركة العلمين » الشهيرة .

ولما انسحبت قوات روميل أمام قوات الحلفاء فى معركة العلمين ، كان انسحابها منظما وتقاتل بجزء من القوات قتالاً تعطيلياً بينما تنسحب باقى القوات إلى خطوط دفاعية تالية . وهكذا أنقذ روميل قواته برغم تفوق قوات الحلفاء براً وجواً ، وأصبح يعرف هذا الانسحاب فى التاريخ العسكرى بأنه من أنجح عمليات الانسحاب .

ودون الاسترشاد بأمثلة أخرى من الحروب السابقة ، كان من المحتم أن يكون الانسحاب فى يونيو ١٩٦٧ منظماً ، وأن يتم خلاله قتال تعطيلى ، وأن يتم التمسك بالدفاع فى خط المضايق دفاعاً مستميتاً بقواتنا فى سيناء برغم السيادة الجوية الإسرائيلية ، خصوصاً أنه معروف أن طبيعة الأرض فى منطقة المضايق تعطى فرصة ممتازة للقوات المدافعة لصد وتدمير القوات المهاجمة المتفوقة .

لقد صدر قرار الانسحاب العام من المشير عامر بعد أقل من يومى قتال عندما كان يدور القتال على النطاق الدفاعى الأول ، أى كان هناك عمق كاف وقوات كافية لاحتلال خط المضايق والدفاع عنه لو كان هناك إصرار على تنفيذ ذلك . ومهما كان للعدو السيادة الجوية والتفوق فى قوة النيران ، فإن النتيجة – عسكرياً وسياسياً ومعنوياً – كانت تكون أفضل بكثير .

من الذى قرر الانسحاب العام ؟

والسؤال الذى تردد كثيرًا هو : من الذى اتخذ قرار الانسحاب العام ؟ هل صدر

عن المشير عامر منفرداً أم عن المشير عامر بعد موافقة الرئيس عبد الناصر ؟

والحقيقة أن هذا السؤال لم يكن يشغل بالنا فى ذلك الوقت أثناء وجودنا فى سيناء . وكان الأهم من ذلك هو سبب إصدار هذا القرار والأسلوب الخاطىء لتنفيذه والنتيجة السيئة الواضحة له .

فالفريق أول محمد فوزى رئيس الأركان يقول[1] :

" ظهرت أول نية للمشير عامر بانسحاب القوات من سيناء عندما صدرت إشارة لاسلكية من القيادة العليا إلى قائد منطقة شرم الشيخ فى الساعة ٥,٥٠ (الخامسة وخمسين دقيقة) صباح يوم ٦ يونيو يطلب فيها وضع خطة انسحاب كاملة لقواته من شرم الشيخ إلى غرب القناة " .

" وقد طلبنى المشير بعد ظهر يوم ٦ يونيو قائلاً لى «عايزك تحط لى خطة سريعة لانسحاب القوات من سيناء إلى غرب قناة السويس . ثم أضاف « أمامك ٢٠ دقيقة فقط » .

فوجئت بهذا الطلب ، إذ أنه أول أمر يصدر إلىَّ شخصياً من المشير الذى كانت حالته النفسية والعصبية منهارة ، بالاضافة إلى أن الموقف لم يكن يسمح بالمناقشة أو الجدل أو معرفة دوافع التفكير فى مثل هذا الأمر . فقد كانت القوات البرية فى سيناء - عدا قوات الفرقة ٧ مشاه - متماسكة حتى ذلك الوقت . ولم يكن هناك ما يستدعى إطلاقاً التفكير فى انسحابها .

أسرعت إلى غرفة العمليّات حيث استدعيت الفريق أنور القاضى رئيس الهيئة واللواء تهامى مساعد رئيس الهيئة ، وجلسنا نفكر فى أسلوب وطريقة انسحاب القوات ... وانتهى بنا الموقف إلى وضع خطوط عامة جداً وإطار واسع لتحقيق الفكرة ، ودونها اللواء تهامى فى ورقة . وكان هذا الاطار يحدد خطوط انسحاب القوات وتوقيت التمركز فى هذه الخطوط .

توجهنا نحن الثلاثة إلى المشير ... وبدأ اللواء تهامى فى القراءة بقوله « ترتد القوات إلى الخط كذا ... يوم كذا ، ثم إلى الخط ... يوم ... وأن يتم ارتداد القوات

---

(١) فريق أول محمد فوزى - حرب السنوات الثلاث .

بالتبادل على هذه الخطوط ، لحين وصولها إلى الخط الأخير غرب قناة السويس بعد أربعة أيام من البدء في الإنسحاب - أى أن يتم الانسحاب في أربعة أيام وثلاث ليال .

عندما سمع المشير الجملة الأخيرة بتحديد مدة الانسحاب رفع صوته قليلاً موجهاً الحديث لى : أربعة أيام وثلاث ليال يا فوزى ، أنا أعطيت أمر الانسحاب خلاص . ثم دخل إلى غرفة نومه التى تقع خلف المكتب مباشرة بطريقة هستيرية ، بعد أن كان وجهه قد ازداد احمراراً أثناء توجيه الحديث ، بينما انصرفنا نحن الثلاثة مندهشين من حالة المشير "

ويقول الفريق أول مرتجى عن موضوع الانسحاب العام(١) :

" سألت المشير عامر فى زيارة له بعد الحرب مباشرة عن مدى معرفة رئيس الجمهورية بهذا القرار ، وهل وافق عليه أم أن المشير عامر هو صاحب القرار انفرد به ، ولم يطلع عليه القائد الأعلى ولم يأخذ موافقته . فمثل هذا القرار الاستراتيجى له نتائج سياسية خطيرة ، ومن الضرورى أن تشترك السياسة مع الاستراتيجية فى اتخاذه .. وكان رد المشير أنه اتفق مع الرئيس عبد الناصر عليه ، وأنه أخذ رأيه ، ولا يمكنه أن يتخذ هذا القرار بدون علمه " .

□ □ □

وأمام لجنة تسجيل التاريخ التى كنت أتابع الجانب العسكرى فيها عن طريق متابعة أقوال وشهادات القادة العسكريين عن حرب يونيو ١٩٦٧ ، علمت أن العميد عبد الستار أمين مدير مكتب المشير عامر أثناء الحرب قال إن المشير عامر اتصل بالرئيس عبد الناصر يوم ٦ يونيو وأخطره بقرار الانسحاب بقوله :

" سقطت العريش . بقى فى أبو عويجلة ما يعادل كتيبه . دمرت مدفعية أم قطف . موقع القسيمة يجرى حصاره ، ولم يبق إلا ثغرة تعادل نصف كيلومتر . اتجاه الكنتلا سليم . قررت الانسحاب بالقوات المسلحة إلى غرب القناة . يجب أن نتخلى عن المسئولية ، وعلينا أن نخلى السبيل إلى جيل آخر يتحمل المسئولية " .

---

(١) فريق أول عبد المحسن مرتجى - الفريق مرتجى يروى الحقائق - ص ١٨٣ .

وتأتى مذكرات[1] عبد اللطيف البغدادى لتلقى الضوء على قرار الانسحاب العام . يقول عن يوم الثلاثاء ٦ يونيو ١٩٦٧ :

" ... وعدنا فى المساء إلى مكتب عبد الحكيم ووجدنا زكريا محيى الدين هناك ، وسألته عن الموقف وأخبار المعركة . ففاجأنى بقوله : « قررنا الانسحاب العام وأن تنسحب قواتنا إلى غرب قناة السويس » .

وكان وقع هذا الخبر على نفسى كوقع الصاعقة ولم أصدق ما أسمع . وسألته عن السبب فى هذا القرار الخطير .

فقال : إن الطائرات تصطاد مدرعاتنا وهى فى الصحراء مكشوفة لها . ولا بد أن تنسحب إلى المناطق الزراعية حتى يمكن اخفاؤها عنها .

فقلت دون أن أدرى – دى فضيحة . ده عار .

فرد علىّ بقوله : المسألة ليست مسألة كرامة ولا شهامة ، إنما المطلوب هو إنقاذ أولادنا . والعدو دمر لنا فرقتين .

فسألته عن رأى جمال عبد الناصر فى هذا الانسحاب .

فقال : هو الذى اتخذ القرار لينقذ أولادنا .
وأخذت أردد كلمة العار والفضيحة .

فقال : هذا شيء انتهى وأصبح جزءاً من التاريخ .
ويستطرد البغدادى فى شرحه قائلاً :

وكان عبد الحكيم دائم الاتصال بقياداته فى الجبهة ويصدر إليهم أوامر الانسحاب ، ويظهر أنه لم يكن هناك خطة للإنسحاب . وكانت أوامره لكل من اتصل به هى الانسحاب ليلاً ومحاولة الوصول إلى غرب قناة السويس قبل طلوع النهار ، وترك أسلحتهم الثقيلة والاكتفاء بالخفيفة منها ، وأن يسيروا فى مجموعات صغيرة متفرقة .

لقد شاهدنا مأساة وهى تجرى أمامنا ...
وجلسنا نتحدث همسا عن هذا الإنهيار أو عن هذه الصورة المخزية ، وقلبنا ينفطر ألماً وحزناً ...

---

(١) عبد اللطيف البغدادى – مذكرات – الجزء الثانى – ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

وفى النهاية قررنا أن نخرج من هذه الغرفة التى تقرر فيها مستقبل أمة ومصير شعب ".

□ □ □

أما محمود رياض وزير الخارجية فى ذلك الوقت فإنه يقول إن عبد العزيز بوتفليقه وزير خارجية الجزائر وصل إلى القاهرة بعد ظهر يوم ٧ يونيو على طائرة خاصة لتبليغ مصر أن الجزائر تضع كل إمكانياتها لمعاونة مصر ، وأن الرئيس هوارى بومدين قرر أن يرسل إلى مصر كل ما يمكن توفيره من الطائرات ، وطلب أن يسافر معه على نفس الطائرة التى جاء بها عدد من الطيارين لاحضار الطائرات . ويسجل محمود رياض فى مذكراته[1] الآتى :

" عندما صحبت بوتفليقه إلى جمال عبد الناصر فى منزله ، أبلغه أن من رأى الجزائر عدم قبول وقف إطلاق النيران . وعندئذ طلب الرئيس عبد الناصر خريطة سيناء ، وبدأ يوضح لعبد العزيز بوتفليقه المعالم الرئيسية الموجودة على الخريطة ، ثم أشار إلى خط المضايق وذكر أن القوات المصرية سوف تنسحب إلى هذا الخط وتتمسك به حتى يمكن وقف التقدم الإسرائيلى ...

لقد صدق شعورى فيما بعد ، لأنى تبينت أنه فى الوقت الذى كان جمال عبد الناصر يتحدث فيه عن الصمود عند خط المضايق ، كان عبد الحكيم عامر قد أصدر أوامره فعلاً مساء يوم ٦ يونيو بالانسحاب الشامل لقواتنا إلى غرب قناة السويس " .

□ □ □

ومن الواضح أن الشهادات السابقة لا تبين ما دار بين المشير عامر والرئيس عبد الناصر من حديث أو مناقشات عن موضوع الانسحاب العام من سيناء ، وهو قرار خطير لا بد أنه كان موضع بحث ومناقشة بينهما . ولا أتصور أن المشير عامر كان من السذاجة السياسية والعسكرية بحيث يتخذ هذا القرار منفرداً ، ولا أتصور أن الرئيس عبد الناصر كان من السذاجة السياسية والعسكرية بحيث يسمح للقائد العام بأن يتخذ

---

(١) محمود رياض – مذكرات محمود رياض – طبعة عربية .

هذا القرار بدون علمه وموافقته . ولعل شهادة كل من مدير مكتب المشير عامر وعبد اللطيف البغدادى يعطيان الدليل .

والرأى عندى أن قرار الانسحاب العام من سيناء كان قراراً خاطئاً ، كما أن طريقة تنفيذه كانت سيئة وتتعارض مع العلم العسكرى .

فالموقف السياسى كان يتطلب استمرار القتال فى سيناء أطول وقت ممكن ، ولم يكن هناك سبب سياسى يستدعى إخلاء سيناء .

كما أن الموقف العسكرى الاستراتيجى يوم ٦ يونيو لم يكن يستدعى الانسحاب العام إلى غرب القناة . لقد أصدر الفريق صلاح محسن قائد الجيش الميدانى أوامره للواء صدقى الغول قائد الفرقة الرابعة المدرعة بأن تتمسك بخط المضايق حتى الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ٧ يونيو كى تنسحب باقى قوات الجيش إلى غرب القناة تحت سترها . والأمانة التاريخية تمنعنى من سرد الأوامر التى صدرت من قائد الجيش إلى قائد الفرقة ، وما حدث فعلاً عند تنفيذ مهمتها التى أوكلت إليها حيث لم يكن لى دور قريب من التعليمات التى صدرت من قيادة الجيش الميدانى أو القيادة العامة بخصوص استخدام هذه الفرقة فى مرحلة الانسحاب العام .

ومن المهم أن أوضح أن استخدام قوات الجيش فى مرحلة الانسحاب ، كان لا بد أن يشمل التشبث والدفاع عن خط المضايق بكل القوات تحت قيادة قائد الجيش . وليس معنى عدم تجهيز خط المضايق قبل أو أثناء الاستعداد للحرب هو التخلى عنه أو عدم صلاحيته للدفاع . فالمعروف عسكرياً أن هناك « دفاعاً عاجلاً » يتم فيه القتال حتى يتحول إلى « دفاع ثابت » قوى خصوصاً وأن الطبيعة الجغرافية لمنطقة المضايق تسمح بسهولة الدفاع عن هذا الخط بالقوات والنيران والموانع .

وفى جميع الحالات ، وتحت كل الظروف ، يقع على عاتق القيادات العسكرية وحدها تنظيم الانسحاب وإدارة أعمال القتال بالأسلوب العسكرى الصحيح وليس بالطريقة الارتجالية التى تم بها .

وهكذا - لأخطاء عسكرية فُرضت على القوات من قياداتها - تحول الانسحاب إلى هزيمة أستشهد لنا فيها عدد كبير من الرجال وخسرنا كميات ضخمة من الأسلحة

والمعدات . وأصبح الانسحاب العام سبباً رئيسياً من أسباب الهزيمة فى حرب يونيو ١٩٦٧ يضاف إلى الأسباب السياسية والعسكرية الأخرى .

والتاريخ العسكرى لن يرحم الذين قرروا ونفذوا الانسحاب العام بهذه الطريقة ، وسيظل مثلاً لفشل عسكرى مميت فى هذه الحرب .

□ □ □

وبقرار الانسحاب العام من سيناء ، عاد الموقف بالنسبة للملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة إلى أسوأ مما كان عليه عند بدء الأزمة الحقيقية التى ترتب عليها الحرب . وأعنى بذلك منذ إعلان الرئيس عبد الناصر إغلاق مضيق تيران فى وجه الملاحة الإسرائيلية اعتباراً من يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ . فقد احتلت إسرائيل شرم الشيخ بدون قتال بعد أن انسحبت القوات المصرية منها . ويصف ديان ذلك فى مذكراته بقوله :

" عند نهاية اليوم الثانى للحرب ، أخذت القوات المصرية فى المواقع المتقدمة ، والتى لم تكن قد تعرضت للحصار ، فى الارتداد . فقد صدرت الأوامر إليها من القاهرة بالانسحاب . وعندما عرفنا أن القوات المصرية فى شرم الشيخ بدأت فى ترك مواقعها ، سارعنا بتقديم ميعاد احتلالها ، وأرسلنا وحدة مظلات إليها دون انتظار لاستيلاء القوات البرية على الطريق البرى . وقد وصلت هذه الوحدة إلى شرم الشيخ فى الساعة الواحدة مساء يوم ٧ يونيو بطائرات الهليوكبتر ، لتشاهد من الجو زورق طوربيد إسرائيليين فى الميناء . فقد وصلت إليها من قبل فى الساعة الحادية عشرة والنصف قوة بحرية لتجدها خالية من أى قوة تحميها ، فتركت فصيلتين على الشاطىء . وبعد ثلاثة أرباع الساعة ، كان العلم الإسرائيلى فوق مستشفى قوة الطوارىء الدولية التى انسحبت منها بناء على أوامر عبد الناصر . وقد سقط أول أسرى مصريين فى المنطقة فى يد البحرية الإسرائيلية ، فقد تم أسر ثلاثة وثلاثين من الكوماندوز المصريين الذين كانوا يحتلون جزيرة تيران ومعهم أسلحتهم ... " .

وهكذا عادت الملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة بالقوة بدلاً من المرور تحت علم الأمم المتحدة .

إيقاف إطلاق النيران :

وكانت المشاورات تتم في مجلس الأمن لإيقاف النيران وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى خطوط ٤ يونيو ، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية عارضت مشروع القرار ، وصممت على عدم النص على انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التى احتلتها . وأمام إصرار أمريكا وجهود الرئيس جونسون داخل وخارج مجلس الأمن ، أقتصر القرار على إيقاف إطلاق النيران فقط . وبذلك ساعدت إسرائيل على استمرار احتلال الأرض العربية .

ويحكى محمود رياض وزير الخارجية ما دار فى جانب مصر . كتب فى مذكراته يقول :

" فى الساعة التاسعة مساء (يوم ٨ يونيو) طلبنى الرئيس عبد الناصر تليفونيا فى مكالمة لن أنساها مطلقاً . وبدأ يحدثنى بنبرة مؤلمة ومفجعة فى صوته ، كانت فى حد ذاتها كافية لتصوير الموقف كله . لقد أخطرنى بأن الإنهيار فى القوات المسلحة كان كاملاً وفوق أى تصور ، وأنه لم يعد فى إمكاننا مواصلة القتال ، وأنه يجب أن نخطر القونى (سفيرنا فى الأمم المتحدة) لإبلاغ مجلس الأمن بموافقتنا على وقف العمليات العسكرية .

وعندما أبلغت القونى العاشرة ليلاً بالموقف ، أدركت من نبرة صوته أن ما سمعه كان أعنف صدمة يتلقاها فى حياته . لقد كنت طوال الأيام القليلة الماضية أنقل إليه البيانات التى تصلنى من القيادة عن الموقف العسكرى والتى اتسمت جميعها بعدم مطابقتها للواقع ، وبالتالى فقد كان القونى يرفض تصديق المعلومات التى تصله من السفراء الأجانب فى نيويورك عن انهيار الجبهة .

والآن فها نحن جميعاً نكتشف فى لحظة واحدة عالم الوهم الذى كنا نعيشه " .

عبد الناصر يتنحى :

وتوالت الأحداث فى مصر .

وأعلن الرئيس عبد الناصر يوم ٩ يونيو تنحيه عن الحكم مع إسناد رئاسة الجمهورية

إلى زكريا محيى الدين . وكان قرار عبد الناصر الذى أعلنه هو تعبير وإدراك منه أنه يتحمل المسئولية التاريخية عن الهزيمة .

وقامت المظاهرات فى القاهرة يومى ٩ ، ١٠ يونيو تطالب باستمراره فى الحكم ، كما أن مجلس الأمة ومجلس الوزراء رفضا قرار التنحى ، فأصدر الرئيس عبد الناصر البيان التالى يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ :

" إننى سوف أبقى حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان . إن الأمر كله بعد هذه الفترة ، يجب الرجوع فيه إلى الشعب فى استفتاء عام . إنى مقتنع بالأسباب التى بنيت عليها قرارى ، وفى نفس الوقت فإن صوت الشعب بالنسبة لى أمر لا يرد ، ولهذا فإن القرار مؤجل " .

كنا فى الاسماعيلية نسمع الاخبار من إذاعة القاهرة ، بينما كانت قواتنا فى غرب القناة غير متماسكة وغير قادرة على الدفاع عن منطقة القناة . وكان الاهتمام الأول للقوات فى منطقة القناة هو سرعة إعادة التجميع وحصر الخسائر الكبيرة التى تعرضت لها ، استعداداً لاتخاذ أوضاع عاجلة فى غرب القناة بما يتيسر لها من أسلحة مهما كانت قليلة .

لقد كانت القوات الإسرائيلية تقف على الضفة الشرقية للقناة ، والدموع فى عيوننا ، والمرارة تملأ قلوبنا للنتيجة السيئة التى حدثت ، وللظروف القاسية - سياسياً وعسكرياً - التى فرضت على القوات المسلحة فكانت ضحية لها .

إنها أيام صعبة وخطيرة لا يمكن وصفها ، ولا يشعر بها إلا من عاش أحداثها فى سيناء ومنطقة القناة ... أيام مريرة وفترة عصيبة لن أنساها .

عبد الناصر يتولى السيطرة :

وكان يوم ١١ يونيو يوماً حاسماً للقيادة والسيطرة على القوات المسلحة بمعرفة الرئيس عبدالناصر بعد أن أعلن المشير عامر وشمس بدران اعتزاليهما فى اليوم السابق .

فقد قرر عبد الناصر تعيين الفريق أول محمد فوزى قائداً عاماً للقوات المسلحة ،

والفريق عبد المنعم رياض رئيساً للأركان ، والفريق مدكور أبو العز – محافظ أسوان حينئذ – قائداً للقوات الجوية والدفاع الجوى .

وفى نفس اليوم تقرر قبول استقالة قادة القوات البرية (فريق أول مرتجى) والقوات الجوية (فريق أول صدقى محمود) والقوات البحرية (فريق أول سليمان عزت) ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ومساعدى نائب القائد الأعلى . كما تقرر إحالة بعض القادة – وبصفة خاصة الذين كانوا على علاقة وطيدة بالمشير عامر – إلى التقاعد على أن ينفذ القرار فى نفس اليوم .

وأعطى الرئيس عبد الناصر اهتماماً خاصاً للقوات المسلحة والسيطرة عليها ، لأن الموقف العسكرى والموقف الداخلى فى مصر كان يحتم عليه ذلك . وقد شرح أبعاد الصورة فى ذلك الوقت فى إحدى جلسات مجلس الوزراء – فيما بعد – قال[1] عبد الناصر :

" لا يمكن أن أنسى الأيام الأولى التى مرت علىَّ بعد يونيو . كنت أشعر بمرارة كبيرة ، مرارة لا يمكن وصفها . فلا شك أن ما حدث فى يونيو قد أثر علينا جميعا نفسيا ومعنويا وماديا ... لقد تمنيت فى تلك الأيام لو أنى تنحيت بالفعل عن السلطة وابتعدت عن موقع المسئولية . كان فى تقديرى دائما أن الأيام التى سنواجهها صعبة للغاية فى الداخل والخارج ، لأن خصمنا قوى ولديه التنظيمات وجاهز للعمل ضدنا ولديه كل ما يحتاجه من أموال للقضاء علينا ...

أنا فى يوم ١١ يونيو عندما عدلت عن قرار التنحى ، كنت فى حالة سيئة جداً إلى درجة أنى أرسلت عائلتى خارج القاهرة ، ووضعت مسدسى إلى جانبى لاستخدامه فى آخر لحظة . يومها سألت عن عدد الدبابات المتبقية فى القاهرة ، فقالوا لى لم يبق إلا سبع دبابات ... كنت أتحدث مع الفريق فوزى كل ليلة قبل أن أذهب للنوم ، ثم أطلبه فى الساعة السادسة صباحاً لأراجع معه موقف القوات المسلحة ، وموقف القيادات ، واسم القائد المسئول فى كل موقع . ولو لم ألجأ إلى هذا الأسلوب لكانت الأمور فلتت " .

---

(١) محمود رياض – مذكرات محمود رياض ٩٤٨ – ٩٧٨ – ص ٩١

في أعقاب الحرب :

في الوقت الذى كانت تدار فيه الأمور فى القاهرة لمواجهة الموقف ، كان الظلام ينقشع قليلاً قليلاً فى منطقة القناة عندما أخذت بقايا القوات المنسحبة من سيناء فى التجمع لتكوين وحدات صغرى ثم تتحول إلى وحدات أكبر حجما وتتخذ أوضاعا أكثر ثباتاً عن ذى قبل تدريجياً ، برغم أنها كانت غير قادرة على الدفاع لأسباب معنوية ولعدم وجود الأسلحة اللازمة كحد أدنى للدفاع المحلى .

إستمر عملى فى منطقة القناة فى قيادة المنطقة العسكرية التى يقودها الفريق صلاح محسن لمدة أسبوعين تقريباً ، عدت بعدها للقاهرة للانضمام إلى هيئة عمليات القوات المسلحة . وعند دخولى القيادة العامة علمت أن اللواء أحمد إسماعيل قد أحيل للتقاعد مع عدد آخر من القادة . وكان خبراً مؤسفاً لى حيث أنه لم يرتكب خطأ عسكريا يحاسب عليه منذ إعلان حالة الطوارىء فى مايو حتى نهاية الحرب .

توجهت إلى منزلى لمدة ساعة واحدة منكس الرأس . وعندما واجهت زوجتى وأبنائى – والدموع فى عينى – كنت أستشف منهم وعلى وجوههم كثيراً من التساؤلات عما حدث ، وكيف حدث ؟ ولماذا حدث ؟ كما كنت أشعر بالدهشة تعقد ألسنتهم والصدمة شديدة عليهم .

قررت فى ذلك الوقت ألا أستمر فى الخدمة بعد هذه الكارثة . وكان تقديرى حينئذ أن الجيل الذى أنتمى إليه يجب أن يخلى الطريق لجيل آخر أكثر منه كفاءة ليعيد إلى القوات المسلحة قدرتها وكفاءتها ويعيد رفع علمها من جديد .

وعندما صرحت لعائلتى بما يدور فى فكرى بترك الخدمة ، أجهشت ابنتى الصغرى بالبكاء ، وأخذت تردد ... لا ... لا ... لا ...

وبعد عودتى للعمل ، حيث كانت الإقامة والعمل نهاراً وليلاً داخل القوات المسلحة لكل الأفراد ، قدمت استقالتى من الخدمة . وطبقا لنظام الخدمة العسكرية ، كان من المحتم أن أستمر فى العمل حتى يتم التصديق على قبول الاستقالة .

ويشاء القدر أن تكتمل الأحزان . فقد توفى والدى فى قريتى « البتانون » بمحافظة المنوفية فى أواخر الشهر الحزين – يونيو ٦٧ – والعام الأليم . سافرت إلى القرية

مرتديا ملابسى العسكرية - بدلة الشغل والطاقية الكاكى - للاشتراك فى تشييع الجنازة عدت بعدها للقاهرة مباشرة .

تعيين اللواء أحمد إسماعيل قائداً لجبهة القناة :

وبدأ الظلام ينقشع قليلاً ، وأخذت الأمور تستقر تدريجيا فى القوات المسلحة .

وأعيد اللواء أحمد إسماعيل للخدمة وتعين قائداً للمنطقة العسكرية الشرقية (جبهة قناة السويس) بدلاً من الفريق صلاح محسن ، وهى القيادة التى كانت تقود كل قوات القناة قبل أن يشكل منها الجيش الثانى والجيش الثالث فيما بعد . ولم يكن واضحاً لى سبب إحالته للتقاعد وسبب إعادته للخدمة بفاصل زمنى قصير بين القرارين .

حضر أحمد إسماعيل إلى مكتبى ، وكانت روحه المعنوية تبدو مرتفعة فى الظاهر ، ولكن تبدو عليه المرارة فى الداخل . وكان لنا حديث قصير عن الهزيمة المريرة التى لحقت بالقوات المسلحة ، وأنه آن الأوان لبداية جديدة حتى تجتاز الدولة والقوات المسلحة الكارثة التى لحقت بنا .

أخذ يحدثنى عن مسئوليته الجديدة التى يتحملها - قائد جبهة القناة - فى تلك المرحلة الصعبة ، وطلب منى قبول العمل معه « رئيس أركان جبهة القناة » لنعمل معاً بنفس روح التعاون التى كنا نعمل بها معاً فى قيادة القوات البرية قبل الحرب .

إعتذرت له شاكراً متمنياً له التوفيق ، وموضحاً له أنى قدمت استقالتى من الخدمة وإنى فى انتظار القرار بشأنها ، وإذا لم تقبل الاستقالة فسيجدنى معه فى جبهة القناة .

وبعد فترة قصيرة صدر قرار وزير الحربية بتعيينى رئيساً لأركان الجبهة . غادرت القاهرة متوجهاً إلى منطقة القناة ، قطعت الرحلة بالسيارة مفكراً فى أحداث الحرب العالمية الثانية وما فيها من أمثلة عن جيوش هزمت ثم استعادت قوتها وانتصرت . وتركز تفكيرى فى الحروب السابقة بين مصر وإسرائيل والصراع العربى الإسرائيلى بإيجابياته وسلبياته .

دخلت قيادة الجبهة لأجد اللواء أحمد إسماعيل يجلس وحيداً على كرسى ميدانى من الخشب ، وأمامه مجموعة من الخرائط على منضدة خشبية ، داخل كشك خشبى صغير

تحت مجموعة من الأشجار ، بينما ضباط هيئة القيادة موزعون فى الخنادق المخصصة للعمل فى أماكن متباعدة .

تلاقت أعيننا ، وفاضت المشاعر ، وجلسنا نتحدث عن الموقف العسكرى فى الجبهة ، وتحليل أعمال ونوايا العدو المنتظرة ، وسرعة إعادة بناء القوات وتدريبها لمواجهة عدو مغرور بتفوقه العسكرى والنصر الذى حققه في حرب يونيو لأخطاء سياسية وعسكرية ارتكبناها وليس لعمل غير عادى قام به .

وبعد عدة شهور وصلنى رد على طلب استقالتى بالرفض .

إنتحار المشير عامر :

وبينما كنت أجلس مع اللواء أحمد إسماعيل ليلاً في جبهة القناة نراجع – كالمعتاد يومياً – نشاط العدو فى سيناء ونواياه فى الفترة القصيرة القادمة ، وكذا نتائج أعمال قواتنا ، قبل أن يتوجه كل منا إلى خندق النوم المخصص له ، دق التليفون وكان المتحدث هو الفريق أول محمد فوزى من القاهرة .

كان هدف المكالمة هو إخطارنا بانتحار المشير عامر فى منزله بمادة سامة شديدة المفعول كان يخفيها ملاصقة لجسمه تحت ملابسه الداخلية ، وأن الكشف الطبى أجرى عليه بواسطة لجنة طبية على مستوى عال بالدولة ، وأنه سيعامل معاملة أى منتحر آخر بالنسبة لتشييع جنازته بعد تسليم الجثة لأسرته . ومعنى ذلك أنه لن تكون هناك أى مراسم عند تشييع الجنازة .

أخذ اللواء أحمد إسماعيل يناقشنى فى رد الفعل المنتظر لهذا الحادث بين القوات فى الجبهة .

ووصلنا إلى نتيجة مؤكدة هى أن انتحار المشير عامر لن يكون له « تأثير عام » فمازالت حرب يونيو بأحداثها ونتائجها المريرة تترك أثرها العميق فى نفوس كل العسكريين بعد أن فقدنا سيناء ، واستشهد لنا الآلاف من رجال القوات المسلحة ، ولم يكن أحد قد نسى دوره فى الهزيمة كقائد عام للقوات المسلحة . واستعدنا معا الحالة السيئة التى وصلت إليها القوات المسلحة فى ظل قيادته ، وكان ذلك سبباً رئيسياً من أسباب الهزيمة .

وأصدر النائب العام قراره فى الحادث يوم ١٩٦٧/١٠/١٠ وجاء فيه :

" وبما أنه مما تقدم يكون الثابت أن المشير عبد الحكيم عامر قد تناول بنفسه عن بينة وإرادة مادة سامة بقصد الانتحار ، وهو فى منزله وبين أهله يوم ١٩٦٧/٩/١٣ ، قضى بسببها نحبه فى اليوم التالى ، وهو ما لا جريمة فيه قانوناً . لذلك نأمر بقيد الأوراق بدفتر الشكاوى وحفظها إدارياً " .

وكان ذلك هو المصير النهائى للمشير عامر ، الذى كان برتبة رائد عند قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبعد أقل من عام ترقى لرتبة اللواء مع تعيينه قائداً عاماً للقوات المسلحة فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ . ثم ترقى بعد حوالى خمس سنوات إلى رتبة المشير فى ٢٠ فبراير ١٩٥٨ ، وأصبح نائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة .

محاكمة شمس بدران :

وجاء الدور على شمس بدران وزير الحربية بتقديمه للمحاكمة .

وأثناء هذه المحاكمة فى فبراير ١٩٦٨ سأله رئيس المحكمة عن رأيه فيما حدث ، وترتب عليه هزيمة يونيو ، رد قائلاً :

" لما تطور الموقف ، ورأينا أننا لازم نسحب البوليس الدولى (قوات الطوارىء الدولية) علشان نبين إن إحنا جاهزين للهجوم ، لأن وجود البوليس الدولى يمنع أى عملية دخول لقواتنا ، وانسحب البوليس الدولى ، استتبع ذلك احتلال شرم الشيخ الذى أستتبع قفل خليج العقبة .

وكان الرأى أن جيشنا جاهز للقيام بعمليات ضد إسرائيل ، وكنا متأكدين ١٠٠٪ أن إسرائيل لا تجرؤ على الهجوم أو أخذ الخطوة الأولى أو المبادرة بالضربة الأولى ، وأن دخول إسرائيل أى عملية معناها عملية انتحارية لأنها قطعاً ستهزم فى هذه العملية " .

ولما سألته المحكمة مستفسرة عن رأيه فى أن الرئيس عبد الناصر قرر قفل خليج العقبة بعد أن أخذ « تمام » من القائد المسئول ، رد شمس بدران قائلاً :

" القائد العام (المشير عامر) أعطى تمام وقال أقدر أنفذ ، وبعدين من جهة التنفيذ كان صعب عليه " .

علق رئيس المحكمة على كلام شمس بدران بقوله :

" والله إذا كانت الأمور تسير بهذا الشكل وتحسب على هذا الأساس ، ولا تكون فيه مسئولية الكلمة ومسئولية التصرف ، يبقى مش كثير اللى حصل لنا " .